# كلمة السّيد الرّئيس

# بشّار الأسد

## في الاجتماع الدّوريّ للعلماء والعالمات

الّذي عقدته وزارة الأوقاف في جامع العثمان بدمشق

بتاريخ ٢٢/٤/١٤٤٢هـ الموافق ٧/١٢/٢٠٢٠م

السّيدات والسّادة.. العالمات والعلماء.. اسمحوا لي أن أتجاوز الألقاب والمصطلحات المستخدمة في وزارة الأوقاف على اعتبار أنّه لا يمكن لكم أن تقوموا بهذا العمل الكبير والهامّ من دون امتلاك العلم، فأنا أنطلق من هذه النّقطة، وأنا سعيد أن نلتقي اليوم بهذا اللّقاء غير المخطَّط له، ولكنّني أردت أن أستغلّ هذه اللّقاءات الدّوريّة الّتي تعقد في جامع العثمان من أجل أن نطرح بعض القضايا الهامّة والمتداولة، والّتي ربّما تكون شائكة ولكنّنا لا يمكن أن نتجاوزها، وقد يسأل أيّ شخص في هذا المسجد أو في أيّ مكان: هل هذا هو الوقت المناسب لكي يقوم مسؤول بالحديث عن قضايا ذات طابع عقائديّ وفكريّ في الوقت الّذي تواجهنا فيه الكثير من التّحدّيات، وخاصّة في الجانب المعيشيّ؟ أقول: نعم.. هذا بكلّ تأكيد هو وقتٌ مناسبٌ، وهو حوارٌ ضروريٌّ لسببٍ بسيطٍ؛ لأنّ القضايا الأمنيّة والمعيشيّة وأيّ تحدّيات أخرى هي قضايا عكوسة تزول بزوال الأسباب.. أمّا القضايا الفكريّة فهي تتّصف بالإزمان، وكلّ مزمنٍ يصعب علاجه، ففي القضايا الفكريّة ما قد نكسبه أو ما قد يصل إلينا قد يكون من الصّعب التّخلّص منه.. وما قد نخسره قد يكون من الصّعب استعادته.

وعندما نتحدّث عن الفكر في منطقتنا، منطقة الشّرق الكبير الممتدّ من المحيط الأطلسيّ إلى المحيط الهادي ومناطق أخرى الّذي هو شرقٌ عقائديّ، فجوهر الفكر هو الدّين؛ لأنّه يدخل في كلّ جوانب الحياة، في العقل، والعاطفة، والسّلوك، في الماضي، وفي الحاضر، وسيكون كذلك في المستقبل، فإذاً يكفي أن نخرّب هذا الفكر لكي نخرّب المجتمعات، وهذا الشّيء يحصل منذ قرنٍ تقريباً أو أكثر بقليل، وبالمحصلة بعد مئة عام فقد حقّق أعداء تلك المجتمعات نجاحات كبيرة في هذا الشّيء، وبدلاً من أن يكون الدّين الّذي أُنزل أداةً للمجتمعات لكي تتطوّر، يُستَخدم –هذا الدّين– لكي يكون أداةً لتخريب تلك المجتمعات.

وأشبّه العالم الّذي نعيش فيه بمحيطٍ كبيرٍ هائج، أمواجه عاتية تضرب بكلّ الاتّجاهات، تضرب بالاتّجاه الأمنيّ عبر الإرهاب، وبالاتّجاه الاقتصاديّ عبر الحصار والتّجويع، وبالاتّجاه الفكريّ عبر دفع المجتمعات إلى الدّرك الأسفل، في هذا المحيط نرى سفناً ومراكباً ترتفع وتهبط، البعض منها يهتزّ بهدوء والبعض يترنّح والبعض قد غرق، وما يحدّد قدرة هذه المراكب على مواجهة الأمواج هو عوامل الأمان والاستقرار الّتي تمتلكها تلك المراكب، هذا هو حالنا كمجتمع، لو لم نكن نمتلك هذه العوامل لكنّا غرقنا منذ الأسابيع الأولى، وبالوقت ذاته لو كنّا قد قمنا بصيانة هذه العوامل والحفاظ عليها بشكلٍ جيّد لما دفعنا ذلك الثّمن الغالي اليوم.

وهذه الأمواج مستمرّةٌ لا تتوقّف، تضرب مجتمعاتنا بشكلٍ مستمرٍّ، تضرب بنية المجتمع.. تضرب عقائد المجتمع.. وتضرب رموز المجتمع، وهذه الأمواج ليست أمواجاً عفويّة؛ لأنّ هذا المحيط الهائج ليس هائجاً بفعل عوامل الطّبيعة، وإنّما بفعل المصالح الدّوليّة، وهناك تعارضٌ بين تلك المصالح وبنية مجتمعاتنا، سواء كانت البنية بالمعنى الاجتماعيّ أو بالمعنى العقائديّ؛ لأنّنا لا نستطيع أن نفصل مجتمعاتنا عن ديننا.

بالمحصلة خلال القرن الماضي نحن نتراجع ونخسر، والأعداء يتقدّمون إلى الأمام، والسّؤال الّذي يجب أن ننطلق منه بدايةً: **من هو المسؤول؟ نحن أم هم؟** وأنا لا أتحدّث عن سورية فقط، بل أتحدّث عن العالم الإسلاميّ ككلّ، وتُعَدّ سورية في هذا المجال متقدّمة جدّاً، وقد حقّقت نقلات نوعيّة، ولكنّنا جزءٌ من هذا العالم الكبير، لا نستطيع أن نفصل أنفسنا عمّا يحصل في العالم الإسلاميّ، وأنتم تعانون من ذلك، تخطون خطوة إلى الإمام فتلاحظون بعد فترة أنّ هناك انتكاسات سببها التّفاعل والتّأثّر بما يحصل في مناطق أخرى من العالم الإسلاميّ، خاصّة مع تطوّر وانتشار وسائل التّواصل الاجتماعيّ.

وأشبّه الوضع بلصّ طليقٍ في حيٍّ من الأحياء، ويقوم بسرقة البيوت بشكلٍ مستمرٍ على مدى سنوات، وأهالي الحيّ يعلمون بهذا الشّيء، فتتمّ سرقة المنازل، ويقوم صاحب المنزل بالشّكوى لمخفر الشّرطة، وبالتّحقيقات يكتشفون أنّ صاحب المنزل لم يقُم بأيّ إجراءات حماية، فالباب مفتوحٌ.. والنّوافذ مفتوحةٌ.. فمن يتحمّل المسؤوليّة؟ أوّلاً: صاحب المنزل، ثانياً: الشّرطة الّتي لم تقم بإلقاء القبض على هذا اللّص، ثالثاً: اللّصّ الّذي المستمرّ بعمله، وهو السّرقة.

ونحن يجب أن نفكّر بنفس الطّريقة، لو أردنا إسقاط هذه الحالة على وضعنا في العالم الإسلاميّ بشكلٍ عامٍّ نستطيع أن نقول: إنّه لا يوجد مخفر شرطة؛ لأنّه لا يوجد قانونٌ دوليٌّ ولا يوجد مؤسّسات تضبط، فإذاً يبقى نحن وهم، ونحن أصحاب البيت فهل أغلقنا الأبواب؟ وكيف نستطيع ردع اللّصّ؟ الجواب: بحالتين، إمّا بالرّدع من خلال القوّة، والآن لا يوجد ردعٌ دوليٌّ، والمؤسّسات والقانون والأخلاق الدّوليّة كلّها غير موجودة، وإمّا بتحصين المنزل، فكيف نحصّن هذا المنزل؟ هذا الموضوع بيدنا وليس بيد أحدٍ، وهذا أساس الحماية، فالتّحصين أهمّ من الرّدع، وأهمّ من الشّرطيّ، فبغياب العوامل الأخرى كلّها نستطيع أن نحصّن منزلنا.

فإذاً لنبدأ بمسؤوليّتنا، ومن الطّبيعيّ عندما تحصل هجمات كالهجمة الأخيرة في الإساءة لمعتقداتنا ورموزنا –وهذا أمرٌ حصل سابقاً– فمن الطّبيعيّ في مثل هذه الأحوال أن يكون الرّدّ الأوّل هو الإدانة الحاسمة والموقف الحاسم، وهذا الشّيء حصل من خلال موقف علماء بلاد الشّام، ومن خلال موقف وزارة الأوقاف، الموقف الأوّل يُعبّر عن المؤسّسة الدّينيّة بشكلٍ عامٍّ، والموقف الثّاني يعبّر من خلال كلام السّيّد وزير الأوقاف عن موقف الدّولة السّورية، ولكن بالمحصّلة هل تغيّر شيءٌ؟ الجواب: لا.. بعد كلّ هذه الإدانات والرّدود والغضب، طبعاً لو لم نُصدِر بياناً فهذا يعني قبولٌ ضمنيّ، ولكن

نتحدّث عن المجتمع بشكل عامٍ، لماذا لم يتغيّر شيءٌ؟ ولماذا تستمرّ هذه الإساءات؟ الجواب: لأنّنا نغضب فقط، لكنّنا لا نتصدّى، وهناك فرقٌ كبيرٌ بين الغضب وبين التّصدّي، فكلّ ما نقوم به يدور حول مشاعرنا، لا يدور حول مصالحنا، وعندما نتحدّث عن مصالحنا فهي لا تنفصل عن عقائدنا؛ لأنّ العقائد أُنزلت من أجل المصالح، وبين الهجمة والهجمة والإدانة والغضب يتحوّل الدّين إلى كرة يتقاذفها الانتهازيّون من السّياسيّين:

- الأوّل في فرنسة لديه انتخابات في العام القادم، وهو يريد أن يستقطب المصابين برهاب الإسلام.
- والثّاني لديه انتخابات عام ٢٠٢٣ في تركية، وأردوغان لم يعد لديه من الأكاذيب ما يقنع به شعبه، وبدأ يخسر شعبيّته، فقرّر أن ينصّب نفسه حامياً للإسلام.

لكن في الواقع كلّ ما يحصل هو عبارةٌ عن ردّ فعل، فالغضب هو تنفيس للاحتقان، ولكنّه ليس فعلٌ، هم يحاربوننا بالفعل، ونحن نردّ بردّ الفعل، ومن يعمل بردّ الفعل يخسر دائماً، فغضبنا هو ردّ فعلٍ، ولكن هذا الغضب لم يتحوّل إلى فكرٍ.. لم يتحوّل إلى خطّة عمل، وعندما لا يُضبط الغضب بالعقل كالعاطفة الّتي هي شيءٌ جميلٌ وإنسانيٌّ، ولكن عندما لا تُضبط العاطفة بالعقل تصبح ضارّة، وكذلك الغضب، فهو ردّ فعل طبيعيّ، ولكن عندما لا يضبط بالعقل يتحوّل إلى مجرّد تنفيسٍ، وبالتّالي يعرف الأعداء أنّ هذه المجتمعات لا تستطيع أن تقوم بشيءٍ أكثر من الغضب.

فإذاً نحن في حالة حرب، هذه الحرب قد تكون اقتصاديّة، وقد تكون عسكريّة، وقد تكون فكريّة تتوجّه باتّجاه العقائد، ولكن في كلّ أنواع الحروب إذا أردنا أن نتصدّى لا بدّ أن يكون موقعنا كالعسكريّ، فالعسكريّ لكي ينجح في الحرب لا بدّ من أن يأخذ الموقع الصّحيح، والاتّجاه الصّحيح، والطّريقة الصّحيحة كيلا يخسر المعركة، والحرب

فيها كلّ المصطلحات، فيها هجومٌ، وفيها دفاعٌ، وفيها هجومٌ تضليليٌّ، وفيها رصدٌ وكمائن..، فلو أردنا أن نقوم بعمليّة الإسقاط العسكريّ عليكم، فأنتم كعاملين في الوسط الدّينيّ وكمجتمعٍ مسلمٍ، ما هو الموقع الصّحيح الّذي يجب أن نضع أنفسنا فيه؟ الجواب: بكلّ بساطة **هو استخدام المصطلحات الصّحيحة، والسّلوك الصّحيح، وكلاهما ينطلق من تعاليم الدّين ومقاصده،** فقط أربع كلمات إذا عرفنا الرّبط بينها عرفنا ما هي الطّريقة الّتي يمكن أن نخوض من خلالها معركة شرسة قديمة ولكنّها في حالة تصاعد ولن تتوقّف، فإذا اكتفينا بالتّنفيس عن غضبنا ولم نحوّل هذا الغضب إلى طاقةٍ منتجةٍ فلن ننتصر، سيقول بعض النّاس: نحن بشرٌ، وهم يهاجمون الرّموز، فكيف لا ننفعل؟ نقول: عليك أن تنفعل، فالغضب هو حالةٌ إنسانيّةٌ، ولكن أبقي هذا الغضب في الدّاخل، وحوّله إلى إنتاج، حوّله إلى نقاشٍ وحوارٍ وأفكارٍ وخطط، فنحن نتوقّع بأنّه سيكون هجومٌ آخر، فماذا نحضّر للهجوم التّالي؟ خطّة غضب؟!! لا بدّ أن نحضّر خطّة عمل وليس خطّة غضب.

النّقطة الثّانية: إنّ مقاطعة البضائع قد تستمرّ ليومين أو ثلاثة أيّام أو أسبوع.. وبعدها تعود الأمور كما كانت عليه، فالبائع الّذي علّق لافتة: (نحن لا نبيع البضائع الفرنسيّة أو الدّانماركيّة)، ستخرج ذات البضائع بعد أسبوع، وهذا الغاضب الّذي كان يُقاطع هذه البضائع سيعود في الأسبوع الّذي يليه ليشتري البضاعة ذاتها.. ونكون بهذا التّصرّف أرسلنا رسالةً إلى الخارج بأن علاقتنا بالدّين هي علاقةٌ متذبذبةٌ غير ثابتة، وبالتّالي ليست مبدئيّة؛ لأنّ المبادئ ثابتة لا تتغيّر.

النّقطة الأخرى: ما هي الصّورة الّتي نقدّمها عن الدّين وعن مَن نقتدي به؟ أي الرّسول الّذي يمثّل عمليّاً هذا الدّين على الأرض؟ فالقرآن هو كلام الله، والله فوق البشر، ولكن الشّيء الملموس بالنّسبة لنا هو الرّسول الكريم، فهل قدّم لنا نماذج في

الغضب؟ أم قدّم نماذج في الهدوء ورباطة الجأش؟ مع أنّه في ذلك الوقت كان يعيش في زمنٍ كانت الكرامة أخطر شيءٍ، وكانت تندلع الحروب وتسيل الدّماء لأجيالٍ من أجل الكرامة، ومع ذلك تعامل بدون أدنى اهتمام مع الّذين حاولوا الإساءة إليه وإلقاء القاذورات عليه... وكان هناك شعراء جاهليّين تفنّنوا في هجاء الرّسول، لم يذكرهم، ولا نعرف شيئاً عن تلك المرحلة إلّا القليل، **فهل يجوز للمسلمين أن يتّبعوا الرّسول في العقيدة ويخالفوه في السّلوك؟**

نحن لدينا مسلّمات تعلّمناها منذ كنّا في المدرسة، والمفروض أنّ أيّ مسلمٍ لديه الحدّ الأدنى من الإيمان يجب أن تكون هذه المسلّمات موجودة في عقله.. فالمصطلحات الّتي استُخدمت في تلك المراحل السّابقة عندما يقوم بها المسلمون بهذا الغضب ويعدّونها نصرة للدّين، ولكنّ الدّين هو الّذي أتى لكي ينصر الإنسان، فالدّين إلهيٌّ، والإلهيّ هو الّذي ينصر البشريّ، ولا يمكن للبشريّ أن ينصر الإلهيّ، وهذه مسلّمة. فيقولون: (نحن ندافع عن الدّين)، ولنفترض بأنّنا سلّمنا بهذا المصطلح، وأردنا افتراضيّاً أن نستخدمه، فأنا أقول: إنّ الدّين ينتصر ليس بالغضب، بل ينتصر بالتّطبيق، **وعندما نطبّق الدّين بشكله الصّحيح في المجتمع من خلال تطبيق مقاصد الدّين فعندها سيكون هذا المجتمع معافى وسليماً، وعندها ينتصر الدّين**، فالدّين لا ينتصر إلّا إذا انتصر المجتمع، والمجتمع لا ينتصر إلّا إذا كان سلوكه بشكلٍ عامٍّ سليماً.

فإذن نحن من خلال الحماس نضرب المسلّمات بحسن نوايا دون أن نشعر، وذلك لأنّ جزءاً كبيراً من مفاهيم الدّين غير واضحة.

وفي الإطار ذاته عندما نجدهم يتحدّثون في الإعلام وفي وسائل التّواصل الاجتماعيّ ويقولون: (إلّا رسول الله)، نحن لا نقبل أن يُهان الرسول، لكن مَن الّذي

يُهان؟ إنّه الإنسان الضّعيف، ومن المسلّمات والمفاهيم الّتي نعرفها أنّ الأنبياء أكبر من أن يُهانوا، والأنبياء أقوى من أن يُستضعفوا، فلا يجوز أن نقبل أنّ الرّسول قد أُهين أو مُسّ.

بالعودة إلى الغضب، فهناك تعاليم واضحة في القرآن الكريم والحديث، ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾ [آل عمران: من الآية ١٣٤]، ﴿ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا۝٦٣﴾ [الفرقان: من الآية ٦٣]، والّذي جاء للرّسول وقال له: أوصني، فقال له: «**لا تغضب**»، فردّد مراراً، قال: «**لا تغضب**»(١)، وقوله: «**ليس الشَّديد بالصُّرَعة، إنّما الشّديد الّذي يملِك نفسه عند الغضب**»(٢)، هذا موضوعٌ واضحٌ، وبالمحصّلة، فنحن نسير باتّجاه قد يخالف بعض المسلّمات، وهذه الأشياء يجب أن نعمل عليها؛ لأنّ المسلّمات هي أساس أيّ شيء يفكّر به الإنسان، سواء كانت مسلّمات عقائديّة أو مسلّمات دينيّة، عندما نقول: (إلّا رسول الله)، فلنفترض بأنّه يُهان، فالرّسول عومل كشخص عاديّ، بينما هو رمزٌ مقدّسٌ، ويجب أن نفرّق بين الرّموز العاديّة وبين الرّموز المقدّسة، فالرّمز المقدّس بيننا وبينه التزامٌ، فالرّسول رمزٌ مقدّسٌ ليس فقط لكي نحبّه، وإنّما لنقتدي به، والقرآن رمزٌ مقدّسٌ ليس فقط لكي نحفظه ونفهمه، بل لنطبّق ما ورد فيه، والله رمزٌ مقدّسٌ ليس فقط لكي نعبده، وإنّما لنطيعه أيضاً.

أسأل نفسي أحياناً: لو عاد الأنبياء، وتحديداً النّبيّ الكريم محمّد إلى هذا العالم، ما هي الأشياء الّتي ربّما تؤلمه انطلاقاً من أحاديثه وانطلاقاً من تعاليم القرآن، هناك

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، الحديث رقم (٥٧٦٥).

(٢) صحيح البخاريّ: كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، الحديث رقم (٦١١٤).

أشياء كثيرة لا شكّ، ولكن هذا السّؤال سألته مؤخّراً فقلت: هل يؤلمه أكثر كلام بعض السّفهاء الّذي نسمعه من وقتٍ لآخر، أم يؤلمه ارتكاب الكبائر؟ وهذا سؤالٌ بديهيٌّ، فمثلاً قتل الأبرياء، أليس واحداً من الكبائر؟ في بعض الأحاديث كان ترتيبها الثّانية بعد الشّرك بالله، فعندما يُقتل الأبرياء، كما حصل في حصار العراق في التّسعينيّات، ولاحقاً في غزوه عام ٢٠٠٣م، وصولاً إلى اليمن وليبية وسورية.. أليس هذا من الكبائر؟ فكيف للمسلم أن يغضب من كلام سفهاء –لا يقيم له الرّسول وزناً لو كان موجوداً، ولم يهتمّ به عندما كان حيّاً– ولا يغضب من كبيرةٍ من الكبائر؟ أين هي المظاهرات؟ أين هو الغضب؟ أين هي الأفعال للدّفاع عن هؤلاء الأبرياء؟

هل نستطيع أن نفرّق بين تحريف القرآن والشّرك بالله؟ من الصّعب أن نجد فرقاً، فمن يحرّف القرآن لا بدّ أنّه مشرك، وتحريف القرآن بدأ منذ عدّة سنوات، وتعرفون بأنّهم بدؤوا بتحريف الكثير من الآيات أو إخفائها وصولاً إلى تغيير مضمون القرآن لأسباب سياسيّة، ولم نسمع غضباً من علماء الدّين في العالم الإسلاميّ إلّا ما سمعناه من بعض علمائنا في خطب الجمعة منذ حوالي شهر أو شهرين.

فهل من الممكن أن نجتزأ الدّين ونتعامل بازدواجيّة؟ هل يمكن أن نفترض بأنّ هذه الأشياء الّتي تُسيء إلى الرّسول لا تستحقّ منّا ردّة فعل على مستوى الشّارع الإسلاميّ؟ أشياء كثيرة تحصل أعتقد بأنّها تمسّ هذه الرّموز بشكلٍ مباشر، وأنا أقول: بأنّه عندما نبجّل هذه الرّموز بالكلام، أمّا عند التّطبيق فنفعل عكس ما وُجِدَت من أجله، فنحن إذاً من يمسّها، ونحن من يشجّع الآخرين على قلّة احترام هذه الرّموز والّتي تمثّل جوهر العقائد.

بهذا الكلام وبهذه المقدمة أحاول أن أضع تشخيصاً للمشكلة، فلا نستطيع أن نأتي بعلاجٍ من دون تشخيص المرض، فلذلك أحاول أن أجمّع بعض العناوين، وهي

كثيرة؛ لأنّنا نتحدّث عن تراكمات، ولا نتحدّث عن شيءٍ طارئ، بالمحصّلة فالفهم المشوّه للدّين، والمصطلحات الخاطئة، والسّلوك العشوائيّ غير المدروس، والعواطف والمشاعر العابرة -بالرّغم من استمرار الإساءة-، كلّ ذلك يؤدّي إلى تشجيع الآخرين على الاعتداء علينا، وعلى الإساءة إلى مشاعرنا.

والآن بعد أن شخّصنا المشكلة بشكلٍ مبدئيٍّ، وقلنا: بأنّ الغضب لن يحقّق شيئاً، فلا بدّ من التّصدّي، كيف نتصدّى؟ ومن أين يبدأ التّصدّي؟

التّصدّي يبدأ أوّلاً بمعرفة العدوّ الحقيقيّ وأين يتواجد، والحقيقة بأنّ أوّل عدوّ لأيّ عقيدة لا يأتي من الخارج، فمهما أساءوا وتكلّموا وخطّطوا لا يستطيعون القضاء على عقيدتنا، وعبر التّاريخ لم يحصل أن انهارت عقيدة بسبب هجومٍ خارجيّ، بالعكس تماماً، فدائماً كان أبناء هذه العقيدة يتمسّكون بها وتصمد، وهذه هي القواعد الإلهيّة لحياتنا البشريّة، فالخوف على الدّين من الخارج غير مبرّر، ولن أضيع وقتي بالحديث عنه، فالخطر يأتي من الدّاخل دائماً، الخطر من أبناء الدّين ومن أتباع الدّيانات ومن أتباع العقيدة أنفسهم، ويبدأ هذا الخطر بالتّخلّف والتّطرّف والتّعصّب وعدم قدرة أتباع تلك العقيدة على التّفكير السّليم.

أمّا الإرهاب فأنا لم أتحدّث عنه ولم أقل: بأنّ الإرهاب يشكّل خطراً؛ لأنّ الإرهاب هو مجرّد نتيجة وليس سبباً.

ولسنا في صدد الانبطاح كما يفعل البعض، كلّما حصلت مشكلة في الغرب يبدأ بالتّبري، حتّى يصل إلى مرحلة التّبري من الإسلام وبلغة أكثر لطفاً: (الإسلام بريء من هذه الجرائم كلّها)، هذه بديهيّات، فأولاً: نحن كمسلمين لا نبحث عن شهادة حسن سلوك من الغرب، وثانياً: إنّهم هم مَن يتحمّل المسؤوليّة، **فالإرهاب ليس منتجاً**

**إسلاميّاً**، هذا بديهيّ، هو منتج لثغرات لها علاقة بالمجتمع، ولكن مَن يستغلّ هذه الثّغرات هو المجتمع الغربيّ، هو مَن حرّض الإرهاب في هذه المنطقة، والأهمّ من ذلك أنّ جزءاً من الإرهاب الّذي يضرب عندهم في أوروبّة لا علاقة له بالإرهاب الموجود لدينا، هم أدخلوا الفكر الوهّابيّ فقط مقابل البترودولار، مقابل أموال، والآن هم يدفعون الثّمن، ولكنّهم يلقون بالمسؤوليّة على المسلمين وعلى تطرّف بعض المسلمين.. وصولاً إلى رموزنا، فالتّصدّي يبدأ من معرفة الخطر، ومعرفة نقاط الضّعف، هذه النّقطة لا نتحدّث عنها؛ لأنّ المؤسّسة الدّينيّة في سورية قطعت خطوات هامّة جدّاً، وقد عقدنا كثيراً من النّقاشات بجلسات مختلفة، وتحدّثنا عن نقاط الضّعف، وأعتقد أنّكم أنتم من يقوم بمعالجة نقاط الضّعف هذه، ولكن النّقطة الّتي لم تكن ظاهرة للكثيرين حتّى الآن هي: تحديد هويّة العدوّ الحقيقيّ، هنا تكمن المشكلة، فعندما يحصل شيء فإنّنا نهاجم أشخاصاً، ولكنّ الأشخاص الّذين قاموا بالهجوم هم أشخاصٌ عابرون، فهم لا يمثّلون أنفسهم، بل يمثّلون تيّاراً، أقصد التّيّار الّذي يقوم بهذه الهجمات على المجتمعات الإسلاميّة، وأحياناً يقومون بهذا العمل لأسباب مصلحيّة، هذا التّيار الّذي لم يكن واضحاً للكثيرين هو **تيّار الليبراليّة الحديثة**، والقليل من النّاس من يعرف عنهم شيئاً، وهم يختلفون عن اللّيبراليّة.

فالليبراليّة: هي تيارٌ سياسيٌّ اجتماعيٌّ، لا مشكلة فيه، أمّا اللّيبراليّة الحديثة فهي تشبه التّسويق الدّيمقراطيّ بالنّسبة لأمريكة، فهم يستخدمون الدّيمقراطيّة من أجل الهيمنة على الشّعوب، ويستخدمون حقوق الإنسان من أجل شنّ الحروب، واستخدموا اللّيبراليّة الحديثة الّتي بدأت تتطوّر منذ حوالي خمسة عقود بشكلٍ تدريجيٍّ خبيث على مبدأ السّرطان، فلماذا يُسمّى السّرطان ورماً خبيثاً؟ لأنّ الإنسان لا يشعر به، يتطوّر تدريجيّاً وببطء، وهكذا بدأت بتسويق أساس منهجيّتها، كتسويق الانحلال الأخلاقيّ

بشكلٍ كاملٍ، وفصل الإنسان عن أيّة مبادئ أو قيم أو انتماءات أو عقائد من أجل الوصول لأهدافها، وكأمثلة عمليّة هذه اللّيبراليّة الحديثة هي من سوّق الزّواج المثليّ من خلال التّسويق الّذي ابتدأ في السّبعينيّات تدريجيّاً إلى أن وصلوا منذ حوالي عشرة أعوام إلى أن أصبح هذا الأمر قانونيّ، والآن بدأ يتكوّن لديهم أبناء من زواج المثليّين، وأعتقد بأنّها تختلف عن صيغة التّبنّي، فهم يعدّونه ابناً مع أنّه ليس ابناً بالحقيقة، فكيف يكون هناك ابنٌ؟!! هذه اللّيبراليّة الحديثة هي الّتي سوّقت فكرة أنّ الطّفل لا يختار دينه بنفسه، وأنّ هذا تعدٍّ على حريّته، فقالوا: إنّه يولد من دون دين، ولكن لاحقاً عندما يكبر يختار الدّين الّذي يريد أن ينتمي إليه، مع أنّ هذا مناقض لطبيعة الإنسان؛ لأنّ الإنسان منذ أن اخترع أديان وآلهة وأصناماً كان الابن بشكلٍ غريزيّ ينتمي لدين العائلة الّتي وُلِد فيها، فهم يناقضون إنسانيّة الإنسان، وكذلك هذه اللّيبراليّة هي الّتي سوّقت المخدّرات منذ عام أو أكثر على اعتبار أنّها ليست ضارّة، وأصبحت تُباع بشكلٍ قانونيّ وعلنيّ في المتاجر، والآن في بعض الأماكن تستطيعون أن تطلبوا أنواعاً من الخبز بنكهة هذا المخدر، هذه اللّيبراليّة الحديثة هي ذاتها الّتي سوّقت البدعة الجديدة الّتي تقول: إنّ الطّفل يولد لا ذكر ولا أنثى، وهو يختار لاحقاً إن كان ذكراً أو أنثى، هذا شيءٌ عجيبٌ! ماذا تفهمون من هذا الكلام؟ المطلوب من هذه اللّيبراليّة ضرب إنسانيّة الإنسان، وهذا يتناقض مع الدّين؛ لأنّ الأديان أُنزلت من أجل تكريس الإنسانيّة، فتأتي اللّيبراليّة لتفصل الإنسان عن إنسانيّته، وعندما يُفصل عن إنسانيّته وقيمه وعقائده، فمن الّذي سيقوده؟ الجواب: شيئان؛ المال والغريزة، وعندها تسهل قيادته بالاتّجاه المطلوب. هذه هي منهجيّة هذه العقيدة؛ أي اللّيبراليّة الحديثة، فهي عقيدة لكنّها ترفض العقائد؛ لأنها تطلب من الإنسان ألّا ينتمي للعقائد، منهجيّتها أن تحوّل مرجعيّة الفرد من المرجعيّة الجماعيّة -كما هو الحال الطّبيعيّ بالنّسبة للبشر- إلى مرجعيّة الفرد والمقصود بها: رغباته، فكلّ ما يرغب به هذا الفرد هو صحيحٌ بغض النّظر عن المجتمع؛

فرغبات الفرد هي الأساس، وليس الأسرة والمجتمع، وانسلاخ الفرد عن هذه القيم هي منهجيّة ثانية، الانسلاخ عن الأسرة والانسلاخ عن الوطن، فيصبح الفرد لا ينتمي إلى أيّ شيء، بل ينتمي لنفسه في الدّاخل، وينتمي لهذه العقيدة اللّيبراليّة، وهم يسوّقون أنّ هذه العقيدة هي ليست عقيدة، بل هي ترفض العقائد، ولكن في الحقيقة هي عقيدة، وعندما نقول: إنّها تلغي إنسانيّة الإنسان، ماذا يعني ذلك؟ الجواب: إنّها تحوّله إلى حيوان، فما هو الفارق بين الإنسان والحيوان؟ الأشياء المشتركة: الإنسان لديه عواطف والحيوان لديه عواطف، يكره ويحبّ، الإنسان ينطق والببغاء ينطق، قد يقول البعض، وهذا متداولٌ: بأن الفرق بينهما هو العقل، وهذا غير صحيح؛ لأنّ الحيوان لديه عقل ويتعلّم من التّجربة والخبرة، فالفارق بين الإنسان والحيوان هو الشّيء الوحيد الّذي يتميّز به الإنسان وهو العقيدة، لذلك فإنّ ضرب العقائد ليس بالشّيء الجديد، فعندما سقط الاتّحاد السّوفييتيّ وبدأ التّفكّك فإنّ أوّل مصطلح طُرِح في أمريكة بأن زمن العقائد قد ولّى؛ أي لا يوجد عقائد، وهذه هي البداية، أو كانت مرحلة هامّة من مرحلة اللّيبراليّة الحديثة، بالمحصّلة هي أيديولوجيّة ذات هدفٍ سياسيٍّ، لكنّها لا تستطيع أن تصل لهذا الهدف من دون الأدوات الاجتماعيّة، فإذا كان الهدف سياسيٌّ فما هي المشكلة بينهم وبين الدّين؟ بالمظهر لا يوجد لديهم مشكلة، فلا مانع عندهم من أن نصوم ونصلّي ونزكّي ونحجّ..، لكن يجب أن نتخلّى عن المبادئ والقيم، فالدّين الفارغ من المضمون مسموحٌ به، والدّين المتطرّف مسموحٌ به، أمّا الدّين الصّحيح فغير مسموح به على الإطلاق، وسأعود مرّة أخرى إلى التّسعينيّات، عندما بدأ انطلاق الفضائيّات، حيث كنّا أمام حالتين:

- إمّا فضائيّات تفرّغ العقل وتدفع الجيل الشّابّ نحو التّغرّب؛ أي باتّجاه الفكر الغربيّ والخروج عن القيم.
- مقابلها تماماً الفضائيّات الّتي بدأت تكرّس التّطرّف.

فكنّا أمام حالتين، وسيقول بعض النّاس: هذا أمرٌ طبيعيٌّ، فالمجتمع كان منقسماً، والتّطرّف الأوّل يخلق التّطرّف الثّاني، والتّطرّف الثّاني يخلق التّطرّف الأوّل، هذا الكلام صحيحٌ لو كان تمويل هذه القنوات يأتي من مصادر متطرّفة أو مصادر متغرّبة، ولكن الواقع أنّ تمويل هذه القنوات كان من مصدرٍ واحدٍ، فالدّول ذاتها كانت تدعم الأولى وتموّل الثّانية، فكلاهما يصبّ باتّجاه المضمون ذاته، مشكلتهم معنا هي عندما نكرّس الدّين الصّحيح؛ لأنّ هذا الدّين الصّحيح هو الّذي يمنع الأهداف السّياسيّة عبر خلق حاجز يمنعهم من تحقيق الأهداف، ويمنعهم من تحويلنا إلى قطعان من المواشي تُقاد إلى المذبح، انطلاقاً من هذه الفكرة تستطيعون أن تفهموا لماذا نرى هذا الهجوم الشّرس على المؤسّسة الدّينيّة؟ هذا هو السّبب، وهو لا يرتبط تماماً بالحرب على سورية، فالموضوع أكبر وأوسع، فمن هذه المؤسّسات المختلفة الموجودة على السّاحة الإسلاميّة من هي المؤسّسة الّتي تقوم بالقتال -ولا أقول: بالعمل- من أجل تكريس الدّين الصّحيح؟ ومن هي المؤسّسة الّتي تدفع شهداء من أجل تكريس الدّين الصّحيح على كلّ السّاحة الإسلاميّة؟ الجواب: هي هذه المؤسّسة، فمن الطّبيعيّ أن تكون هذه المؤسّسة هي العدوّ الأوّل، هاجموكم كأشخاص وهاجموكم كمؤسّسة؛ لأنّ الدّين الصّحيح الّذي نتحدّث عنه هو الّذي يؤسّس لِبُنية اجتماعيّة مناقضة تماماً للبنية الاجتماعيّة المطلوبة لتسويق اللّيبراليّة؛ لذلك فإنّ جزءاً كبيراً من الهجوم على المؤسّسة الدّينيّة يأتي من الخارج، صحيح أنّكم جزءٌ من الحرب على سورية، ولكن يجب أن نرى الحرب على سورية والحرب على المؤسّسة الدّينيّة في سياقٍ أبعد وأعمق، فهي ليست حرباً منفصلة، هي ليست وليدة العشر سنوات الماضية، إن لم نرَ أين ابتدأت لا يمكن أن نعرف كيف نُنهيها، وهذا ما علينا أن نفهمه جميعاً، وهذه هي المشكلة بينكم كمؤسّسة وبين اللّيبراليّة الحديثة، وهنا أريد أن أؤكد على أنّ الخلط الّذي كان يحصل في الجدل الحاصل على وسائل التّواصل الاجتماعيّ، وأنا كنت أسمعه من قِبَل العديد

منكم، وهو الخلط بين اللّيبراليّة والعلمانيّة غير صحيح، والحقيقة أنّ الهجوم الّذي يحصل والطّروحات الشّاذّة الّتي نسمعها هي طروحات ليبراليّة لا علاقة للعلمانيّة بها، فالعلمانيّة شيءٌ مختلفٌ تماماً، العلمانيّة هي حريّة أديان، لا علاقة لها على الإطلاق، فيجب أن نميّز ونعرف من هو العدوّ الحقيقيّ الّذي نواجهه.

بعد أن شخّصنا العدوّ ماذا نفعل؟ تحدّثنا في البداية عن أنّه لا يوجد قانونٌ دوليٌّ، ولا يوجد حماية، واليوم كلّ واحد فيكم ابنه موجودٌ على الهاتف وعلى الحاسوب، وهو على احتكاك مع هذا الفكر، فقبل ثلاثة عقود كنّا نستطيع أن نتقوقع على أنفسنا ونعيش مع عاداتنا وتقاليدنا ومفاهيمنا، أمّا اليوم فهذا الكلام غير ممكن، **لا خيار سوى التّحصين**، تحصين المنزل كما قلنا في البداية، فما هو أهمّ عامل في التّحصين؟ بما أنّنا تحدّثنا عن علاقة هذه اللّيبراليّة بالدّين، فلا بدّ أن تكون البداية من الدّين، وعندما نقول: الدّين، فهذا يعني الدّين الصّحيح، وأيّ دينٍ لا يبدأ إلّا من الفقه، ونحن عندما نتحدّث عن الفقه نربطه بالفقهاء ثمّ العلماء ثمّ بمن هو أعلى مستوى في العلم.. وأنا لا أتحدّث عن هذا المستوى، بل أتحدّث عن الفقه المطلوب لكلّ مسلم، وهنا تكمن مشكلةٌ أخرى كبيرة، وهي أنّ جزءاً كبيراً من المسلمين يمارسون الشّعائر دون أن يعرفوا لماذا يفعلون ذلك، فهناك حدٌّ أدنى من الفقه وهو العلم والمعرفة، وهذا مطلوبٌ لكلّ ممارسٍ للدّين، فلا يجوز لمسلم أن يمارس الشّعائر من دون أن يعرف أين هي المقاصد، كلّ شعيرة من الشّعائر الّتي نقوم بها يجب أن يعرف ما هو الهدف، إلى أين يصل، يجب أن يعرف أنّه لا يمكن أن يمارس أيّ شعيرة من دون أن تنتهي إلى مقصد أنّ البداية هنا والنّهاية هناك، ويجب أن يعرف أنّ ممارسة الشّعائر لا يمكن أن تكتمل إن لم يصل هو إلى المقاصد، هذه مشكلة كبيرة موجودة لا بدّ أن نعمل عليها، طبعاً العلم هو مستويات، والفقه مستويات، ولكن عندما نتحدّث عن القاعدة العريضة الّتي لا تعرف

أساسيّات فهي نقطة ضعف كبيرة، وهي أساس التّحصين للمجتمع المسلم، أهميّة المقاصد هي أنّ كلّ قطاع من قطاعات العالم والمجتمع بحاجة لقياس، فعندما نقول: نحن نقوم بخطّة معيّنة ونطبّق إجراءات محدّدة للوصول إلى هدف، فكيف نعرف أين وصلنا؟ بالاقتصاد هناك أرقام النّمو والتّضخّم... إلخ، وبكلّ مجال من المجالات هناك قدرة على القياس، ولكن في المجال الدّينيّ كيف نقيس؟ لا يمكن أن نقيس من خلال عدد المصلّين، فهذا لا يعني شيئاً، أنتم تعرفون بأنّ عدداً من الّذين خرجوا من المساجد في بداية الحرب هم من الملحدين الّذين كانوا يهتفون: (الله أكبر)، وهناك عدد من النّاس الّذين يمارسون الشّعائر لمسايرة المجتمع من جانب، ولكي يقال: إنّ الأموال هي أموال حلال.. إلى غير ذلك من التّفاصيل، فإذاً هي ليست طريقة قياس، ولكن نستطيع أن نقيس أخلاق وسلوك المجتمع والمصطلحات الصّحيحة الّتي تُستَخدم من قبل عامّة المسلمين عندما نرى بأنّ التّديّن هو الّذي يواجه التّعصّب، وليس بالرّبط بين التّديّن والتّعصّب، وبالمناسبة هذه النّقطة بالذّات هي نقطة مضيئة بالنّسبة للمجتمع السّوريّ؛ لأنّ الّذي تحدّث بالتّعصّب والطّائفيّة في بداية الحرب هم بمعظمهم من غير المؤمنين، وإذا كان البعض منهم من التّيار الدّينيّ فهم غالباً أصحاب الميول الإخونجيّة، والّذين تركوا البلد، والحمد لله أنّها تخلّصت من كلّ هؤلاء، أمّا عندما نتحدّث عن الإيمان الحقيقيّ، وعن المسلم الحقيقيّ، فالحقيقة أنّ هذه كانت نقطة مضيئة لا بدّ أن تذكر كوثيقة ويحفظها التّاريخ بأنّ المؤمن الحقيقيّ هو الّذي واجه التّعصّب والتّطرّف، ونضرب أمثلة:

- لا أستطيع أن أقيس كم شخص يفهم أو يقرأ أو يحفظ الآية الّتي تقول: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ٦﴾ [الحجرات: من الآية ٦]، ولكن أعرف بأن هذا الشّخص وهذا المجتمع لا يخضع للإشاعات.
- لا أعرف كيف يتعامل مع مواعيد الصّلاة، ولكن أعرف بأنّه يحترم المواعيد

في العائلة وفي المجتمع وفي العمل.

- لا أعرف عن وضوئه، ولكن أعرف أنّه نظيف.
- أعرف بأنّه غيري غير أنانيّ.
- أعرف بأنّه لا يحبّ النّميمة.
- أعرف بأنّه لا يرشي ولا يرتشي، ولا يبرّر الرّشوة بأنّ أمورنا تتوقّف إذا لم ندفع رشوة، فيجتزئ من الدّين.
- أعرف بأنّه لا يتهرّب من الضّريبة؛ لأنّ ذلك يُعدّ سرقة للمال العامّ.

إذاً أنا أتحدّث بهذه الفقرة عن شيءٍ أساسيٍّ وهو المقاصد، **ولن نصل إلى التّطبيق الصّحيح من دون المقاصد.**

الأمر الآخر هو **اللّغة العربيّة**: فاللّغة العربيّة هي حاملةٌ للفكر والثّقافة بشكل عامّ قبل أن تكون لغة القرآن، وعندما تندثر هذه اللّغة أو تتراجع وتضعف، وهذا ما نراه في المجتمع بشكلٍ واضح وخطيرٍ ومخيف، فيجب أن نعرف بأنّ هناك حاجزاً وغربةً بين الإنسان وثقافته، والأمر ذاته بالنّسبة للقرآن، وهناك هجمة حتّى على لغة القرآن، فكيف تتصوّرون القرآن من غير لغة؟ ولو جئتم بقرآنٍ تُرجِم إلى اللّغة الإنكليزيّة ثمّ أُعيدت ترجمته من اللّغة الإنكليزيّة إلى اللّغة العربيّة، فستجدون حاجزاً كبيراً بينكم وبين هذا الكتاب، ولو تمكّنوا من اللّعب بهذه اللّغة فسيكون هناك حاجزٌ أيضاً بين المسلم وبين القرآن، فما هي مشكلتهم مع القرآن؟ إنّ الرّابط بين العقيدة واللّغة واحدٌ، ولا يمكن الفصل بينهما، ولكن يمكن ضرب هذا الرّابط، كيف؟ عندما نضرب لغة المجتمع فسوف نطوّق القرآن بلغاتٍ غريبة وبميولٍ غريبة، فيبقى المسلم وتبقى الصّلاة ولكن تصبح اللّغة العربيّة كاللّغات القديمة هي لغة صلاة فقط، وهنا يحصل الفصل بين ثقافة القرآن وثقافة المجتمع، هل اتّضحت اللّعبة؟ فلذلك لا نستطيع أن نفصل اللّغة عن

العقيدة وعن المجتمع، ولا أن نفصل المجتمع عن العقيدة، هي مثلّثات أو مربّعات مترابطة كلّها، فإذا ضربنا قائمةً واحدةً من قوائم هذه الطّاولة فإنّها ستسقط كلّها، هكذا يتمّ الموضوع، فاللّغة إذاً هامّة جدّاً.

**الأسرة**: الأسرة هي الوحدة الأصغر في مجتمعاتنا الشّرقيّة، وليس الفرد كما تحاول اللّيبراليّة الحديثة تسويقه، والأسرة هي الحاملة للعادات والتّقاليد والثّقافة.. وكلّ ما يمثّل الهويّة نراه في الأسرة، والفرد هو عضوٌ فيها، والأسرة لا يمكن أن تؤَسَّس إلّا على الغيريّة، فلا يمكن للأنانيّة أن تبني أسرة؛ لذلك فإنّ هذه الوحدة هي أساس سلامة المجتمع، فعندما تكون سليمة فالأسرة الأكبر مع الأقرباء تصبح سليمة، والحيّ والمدينة والمجتمع كلّه يصبح سليماً، لذلك ركّز الدّين على هذه الأسرة، ولذلك فإنّ من أهمّ الخطوات لضرب هذه البنية الاجتماعيّة هو ضرب الأسرة والنّزول باتّجاه الفرد، فيجب أن نركّز على موضوع الأسرة في عملنا الدّينيّ والاجتماعيّ؛ لأنّ الأسرة بدأت تتفكّك بفعل عوامل مختلفة، من تطوّر الحياة والعوامل التّقنيّة، وبفعل الهجمة على الثّقافة.

**المسلّمات**: بدأت بحديثي عن المسلّمات، ولكن المسلّمات هنا عامّة، هناك كثير من المسلّمات الّتي تمثّل القيم والعادات والتّقاليد والمفاهيم الّتي يُبنى عليها المجتمع، ولا بدّ من تمتين هذه المسلّمات، ومجتمعاتنا تفقد هذه المسلّمات، فالعقائد مسلّمات، والرّموز والقوميّة والانتماءات الوطنيّة كلّها مسلّمات، والعادات والتّقاليد والأسرة كذلك كما قلت قبل قليل، واحترام الكبار، سواء كانوا كبار سنٍّ أو كباراً بالقيمة أيضاً من المسلّمات.. فهناك عناوين كبيرة وعناوين صغيرة، ولكنّها هامّة كلّها.. ومن المسلّمات أشياء كثيرة لا أذكرها الآن، **ولكنّ ضرب هذه المسلّمات يلغي ثنائيّات طبيعيّة تخلق التّوازن في المجتمع**، يقال: إنّ الدّنيا بُنِيَت على الأبيض والأسود، واللّيل والنّهار، والخير والشّرّ، وهذه الثّنائيّات موجودةٌ، وعندما نُلغي هذه المسلّمات يصبح الكبير كالصّغير،

والطّالب كالمعلّم، ويصبح الفاسد كالشّريف، والظّالم كالمظلوم، والأبناء يأخذوا دور الوالدين وتُلغى الحدود بينهم، وهنا يأتي دور برّ الوالدين، وهو أحد أهمّ المفاهيم الّتي يجب أن نركّز عليها في بناء الأسرة، إذاً إلى أين نصل عند ضرب هذه المسلّمات؟ نصل إلى أن يكون المعتدي كالمعتدى عليه، وبالتّالي بدلاً من أن تكون هذه أرضٌ مغتصَبةٌ من قِبَل العدوّ ونحن المالكين الحقيقيّين، تصبح هذه الأرض محلّ نزاع؛ لأنّ الطّرفين لهما الموقع ذاته، وقد يكون كلا الطّرفين صاحب حقّ!! فكيف سيكون الحلّ في هذه الحالة؟ الطّرف الأوّل وهو أنا صاحب الحقّ سأقدّم تنازلاً وأُعطي المغتَصِب جزءاً من الأرض، وهو سيقوم أيضاً بالتّنازل عن جزءٍ من الأرض الّتي أملكها، ويتنازل لي عن حقّي، وبالتّالي نصل إلى التّسوية السّياسيّة الّتي يسعون إليها، وهكذا نرى أيضاً بأنّ المسلّمات لا تنفصل عن المخطّط السّياسيّ للّيبراليّة الحديثة.

فإذا أرادوا أن يصلوا للانهيار السّياسيّ، فلا بدّ لهم من الانهيار الاجتماعيّ، وأشبّه الأمر بأقواس تدمر حيث تصطفّ عدّة أحجار في منتصفها حجرٌ يسمّى حجرة العقد؛ لأنّ الأحجار كلّها تستند عليها، وهنا يقع موقع الدّين، فإذا انفكّت هذه الحجرة فستسقط الأحجار الباقية كلّها، وبالوقت ذاته إذا سقطت الأحجار الأخرى كلّها فستسقط حجرة العقد.. فمن دون مجتمعٍ سليم لن يكون هناك دينٌ بالمعنى الحقيقيّ الّذي تسعون إليه، من دون أسرة، من دون مسلّمات، من دون أخلاق، من دون ثقافة، من دون كلّ هذه التّفاصيل الّتي ذكرتها، فكلّ هذه الأحجار سوف تسقط مع بعضها البعض، وبالمحصّلة لا يوجد خيار إلّا أن نربح هذه المعركة، وإذا أردنا أن نربحها فلا بدّ أن نعرف ما هي هويّة العدوّ الحقيقيّة؟ ما هي طبيعته؟ أين يتموضع؟ وما هي أساليبه؟ لا بدّ أن نربح؛ لأنّنا إن ربحنا فسنكسب احترام الآخرين، وسنفرض عليهم احترام عقائدنا ورموزنا، فإذا نظرنا لهذه الأشياء كلّها نجدها مترابطة، وهي كتلة واحدة، ولكنّها عندما تأتينا فإنّها تأتينا بشكلٍ متفرّقٍ فنتعامل معها بشكلٍ مجتَزِءٍ، وننسى

التّيّارات المحرّكة لها، فننتقل من خسارةٍ إلى خسارة، ومن نكسةٍ إلى نكسة، ومن فشلٍ إلى فشل...

وأريد أن أمرّ على بعض النّقاط الّتي قد تبدو لكم مرتبطة بما سبق، وقد تبدو غير مرتبطة، ولكنّني أرى الحالة كلّها حالة واحدة، سأبدأ ببعض العناوين، ولا يجوز أن نتجاوزها، فهذه المواضيع تطرح بينكم وأحياناً معي، فسأطرحها لحسم الرّؤية؛ لأنّ هذه المواضيع تشكّل أحياناً للمجتمع أساسات، وفي الوقت ذاته تشكّل بالنّسبة لنا كدولة سياسات، بمعنى الرّبط ما بين السّياسات والأساسات؛ لأنّ الدولة لا تنفصل عن المجتمع.

في البداية أريد أن أمرّ على **موضوع التّفسير**؛ لأنّني أعتبر بأنّه هو أساس العمل الدّينيّ، وأريد أن أهنّيء كلّ فرد فيكم بهذا الإنجاز التّاريخيّ بكلّ ما تعني هذه الكلمة؛ لأنّنا إذا عدنا إلى التّفاسير الموجودة، وهي بالعشرات، وأنا لست خبيراً ولا مختصّاً بالتّفسير، ولكنّنا نرى أنّ كلّ تفسيرٍ مرتبطٌ باسم عالمٍ من العلماء، ولكن هذا التّفسير بغضّ النّظر عن أنّه تمّ من قِبَل وزير الأوقاف، وهو مَن قام من خلال اختصاصه بطرحه، ولكنّه –كتفسير– كان ضمن عملٍ جماعيٍّ، وهذه هي نقطة قوّة هذا التّفسير، وتوسّع هذا التّفسير فكان فيه حوارٌ مع الطّوائف المسيحيّة، والدّين الّذي يتحاور مع الدّاخل؛ أي مع أبنائه وأبناء الشّرائع الأخرى هو دينٌ قويٌّ، والإنسان الّذي يخشى من رأي الآخرين ومن مراعاة خصوصيّاتهم ومن أخذ رغباتهم ومصالحهم بالاعتبار هو دينٌ ضعيفٌ، وفي هذا التّفسير الجامع أثبتت المؤسّسة الدّينيّة أنّ هذا الدّين دينٌ واثقٌ من نفسه، وأبناء هذا الدّين وأتباعه والمؤسّسة القائمة عليه –وأنتم عمادها طبعاً– هي مؤسّسة قويّة وواثقة من نفسها انطلاقاً من ثقتها بدينها، هذا جانب، والجانب الآخر فقد جسّد هذا التّفسير في هذا الوقت بالذّات معنى أنّ القرآن جاء لكلّ العصور، فالقرآن لم ينزل ككتاب بحبر وورق، هو نزل كوحي، والقرآن ليس الكتاب الّذي نضعه

في مكتباتنا أو على طاولاتنا، وإنّما هو ما يرسخ في عقولنا، فالمؤمن المتطرّف والمؤمن القويم كلاهما يمتلك الكتاب ذاته، ويقرأ الآيات ذاتها، ولكن ما يرسخ في عقل كلٍّ منهما هو متناقضٌ تماماً، فهذا التّجسيد هو تجسيد لموضوع أنّ القرآن لكلّ العصور.

في الوقت ذاته لا يمكن أن تتحدّث عن تطبيقٍ صحيحٍ للدّين من دون تفسيرٍ صحيحٍ يعبّر عن تحديّات هذه المرحلة، فهو بداية الطّريق لفهمٍ صحيحٍ وأيضاً لمكافحة التّطرّف من خلال التّطبيق الصّحيح للدّين، إذاً: الفهم والتّطبيق ومكافحة التّطرّف.

والنّقطة الهامّة في هذا الموضوع أنّ هذا التّفسير -ككلّ التّفاسير السّابقة- لا يلغي التّفاسير الّتي سبقته، ولا يقلّل من احترامها، وأقول هذا الكلام بسبب الهجمة الّتي حصلت مؤخّراً، وتحديداً على تفسير ابن كثير، ومن حقّ أيّ إنسان أن يختلف مع أيّ مفسر، فكلّنا بشر نُصيب ونُخطئ، ومن حقّ أيّ إنسان أن يختلف مع فكرة، لكن الهجوم كان غير مقبولاً؛ لأنّ هؤلاء المفسّرون قدّموا ما يستطيعون، وما يتناسب مع التّحدّيات الّتي كانت موجودة في العصر الّذي عاشوا فيه، والاجتهاد في الحدّ الأدنى له أجر، ومن جانبٍ آخر فإنّ الهجوم على اجتهاداتٍ حصلت قبل قرون أمرٌ غير منطقيّ لسببٍ بسيط، فلو أنّي أردت أن أتحدّث اليوم بالسّياسة فإنّي لا أستطيع بمعطيات اليوم أن أقيّم القرارات السّياسيّة منذ ستّين وسبعين عاماً؛ لأنّ المعطيات اختلفت، وأنا لم أكن موجوداً.. فكيف نقيّم تفسيراً صدر قبل سبعة قرون؟!! فالتّفاسير تتناسب مع العصر الّذي وُجدت فيه، وما تقوم به اليوم هذه المؤسّسة الهامّة -وزارة الأوقاف- بالنّسبة للتّفسير ربّما بعد قرنٍ من الزّمن سيُقال عنه: ما هذا التّفسير؟! إنّه لا يرتبط بعصرنا، حيث تكون التّحدّيات مختلفة.. وهكذا، والقرآن موجودٌ لكي نغرف منه ما يناسبنا في كلّ مرحلة، فنحن نحدّد كم نأخذ منه، وهو عميقٌ بعمق الحياة، وبعمق فلسفة الحياة، ولكن ما نأخذه منه هو ما نستطيع نحن كبشر أن نستوعبه ونتعمّق به، وهذا هو دور التّفاسير.

من النّقاط الأخرى الّتي طرحت هو فصل الدّين عن الدّولة، والحقيقة لم يأتني أيّ شخص وقال لي: نريد هذا الشّيء، ولا أفترض أنّها قضيّة كبيرة، ولكنّها متداولة من وقتٍ لآخر، وبالنّهاية عندما يكون هناك موضوعٌ يتمّ تداوله بفتراتٍ طويلة ولا يُحسم فلا بدّ من أن يكون هناك رأيٌ رسميٌّ في هذه النّقطة، ومن ضمن الأسئلة الّتي سُئلتُ عنها: هل يمكن فصل الدّين عن الدّولة، فكان جوابي: هذا ممكن، ولكن في حالةٍ واحدةٍ فقط، وذلك عندما نفصل الدّين عن المجتمع؛ لأنّ الدّولة تتجذّر حيث يتجذّر المجتمع، لا تتجذّر حيث تريد هي أن تتجذّر، وعندما ينفصل المجتمع عن جذور محدّدة فلا بدّ للدّولة أن تنفصل عن هذه الجذور، فهي مرآة لهذا المجتمع، وكما نعلم فإنّ مجتمعاتنا عقائديّة وستبقى عقائديّة إلى ما شاء الله، ربّما لقرون والله أعلم، ففصل الدّين عن الدّولة بالشّكل الّذي يُطرَح يعني فصل الدّولة عن المجتمع، وهذا يخلق الفوضى وعدم الاستقرار.

إنّ جزءاً من هذا الطّرح هو الطّرح الخبيث الّذي يُسَوَّق لنا من الخارج، وجزء من هذا الطّرح يتداوله بعض النّاس عن سذاجة؛ لأنّهم يعتقدون أنّ فصل الدّين عن الدّولة هو خطوة في مكافحة الإرهاب والتّطرّف، مع أنّه لا يوجد علاقة بينهما على الإطلاق، وأقول دائماً: بأنّ هؤلاء الأشخاص الّذين لا يمتلكون المعرفة لا بدّ من محاورتهم والشّرح لهم. وأريد أن أمرّ مرّةً أخرى على موضوع العلمانيّة، فهناك مَن يعتقد بأنّ فصل الدّين عن الدّولة هو من متطلّبات العلمانيّة، أو هو جوهر العلمانيّة، وهذا كلامٌ خاطئ، فلا يوجد أيّ علاقةٍ بين العلمانيّة وبين فصل الدّين عن الدّولة؛ لأنّ العلمانيّة هي حريّة الأديان وهي تحترم الأديان، وهذا في صلب ديننا، وفي صلب ممارسات الرّسول الكريم احترام الآخرين وحريّة الأديان، فلذلك العلمانيّة في مكانٍ آخر لا علاقة لها باللّيبراليّة، ولا بفصل الدّين عن الدّولة.

وقد طُرح معي في إطار ضيّقٍ جدّاً موضوعٌ آخر، وهو إمكانيّة استبدال مادّة الدّيانة في المدارس بمادّة التّربية الأخلاقيّة، وكان هناك رأيان: الرّأي الأوّل يقول: بأنّه يمكن أن يكون هناك أخلاقٌ بلا دين، والرّأي المقابل يقول: إنّه لا يمكن أن يكون هناك أخلاقٌ من دون دين، وأنا أقول لكم: بأن كلا الطّرفين في نقاشه يسير عكس الدّين، ولا بدّ أن نأخذ الأمور بشكل منطقيّ، الطّرف الأوّل يقول: النّبيّ كان معروفاً بأخلاقه قبل الإسلام، وكذلك أزواجه وبناته ومن حوله من الصّحابة، وكذلك الأنبياء الآخرين، فإذاً هناك أخلاق قبل الدّين، والفطرة الّتي يُفطر عليها الإنسان والّتي وردت في القرآن هي فطرة الخير، وبالتّالي فطرة الخير هذه لا بدّ أن تلتقي مع الأخلاق في مكانٍ ما، والأهمّ منها هو كلام الرّسول: «**إنّما بُعثت لأتمّم مكارم الأخلاق**»(١)، هو قال: (أتمّم)، ولم يقل: (أؤسّس)، فالرّسول يقول لنا: بأنّ هناك أخلاقاً ولكنّها بحاجة لإتمام، وهنا أقول: بأن كلا الرّأيين عندما يتحدّثان بالشّكل المطلق يخطئان، والرّسول تحدّث بشكلٍ نسبيٍّ، ولم يتحدّث بشكلٍ مطلق، قال: هناك أخلاق ولكنّها لم تكتمل، فإذاً دور الدّين هو إكمال هذه الأخلاق، وإنّ أيّ شيءٍ فرديّ هو شيءٌ قاصر، لذلك أُمِر المسلمون بالشّورى، فالشّيء الجماعيّ هو المكتمل، فالأخلاق الفرديّة قد تتواجد، ولكن وجودها لا يعني أنّ المجتمع سيكون أخلاقيّاً، هنا يأتي دور الدّين الّذي يقوم أوّلاً: بضبط العوامل الأخلاقيّة بين النّاس ويحوّل الأخلاقيّات الفرديّة إلى أخلاقيّات جماعيّة، والجانب الآخر إذا كان الإنسان أخلاقيّاً فهذا لا يعني بأنّه لن ينحرف بفعل المؤثّرات، وبالتّالي يشكّل الدّين رادعاً عن الانحراف، والجانب الآخر وهو يرتبط بالجانب الأوّل، عندما نقول: بأنّ هناك مجتمعاً أخلاقيّاً فهذا لا يعني أن نلغي القانون؛ لأنّ الأخلاق لا يعني أنّها تنظّم، فالدّين هو مَن ينظّم العلاقات الأخلاقيّة.

---

(١) سنن البيهقيّ الكبرى: كتاب الشّهادات، باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليها الّتي من كان متخلّقاً بها كان من أهل المروءة، الحديث رقم (٢٠٥٧١).

فإذا كان كلّ الموجودين في هذه القاعة أخلاقيّون بالمعنى الفرديّ، فهم بحاجة لدينٍ لكي يضبط هذه العلاقة الأخلاقيّة بينهم، فالدّين ضروريٌّ للأخلاق ولكن بهذا المعنى، وأوضّح بأنّ الموضوع ضروريّ في المدارس بشرط أن يكون الدّين هو الدّين الصّحيح المرتبط بجوهره ومقاصده.

بالنّسبة للقانون نأتي بمثال: إذا كان هناك مجتمعٌ أخلاقيٌّ، والنّاس كلّهم سلوكهم جيّد، فلا أحد يعتدي على الآخر، ولكن كونهم أخلاقيّون كلّهم فهذا لا يعني بأنّهم لا يختلفون، فعندما يكون هناك خلافٌ بين الأشخاص، فإنّ هذا الخلاف سيخلق فوضى من جانب، وسيظهر السّلبيات والمساوىء الموجودة، فكلّ إنسان فيه جانب خير، لكن فيه جانب شرّ أيضاً، ومع الوقت وعدم وجود ضوابط ستظهر المساوىء الّتي ستطغى في هذه الحالة، وسيصبح وضعنا مثل وضع العالم الآن، يوجد قانونٌ دوليٌّ، ولكن لا يوجد من يطبّقه، فالعلاقة هي علاقة فوضى، وما يدير السّياسة الدّوليّة هو عدم وجود الأخلاق، بالرّغم من وجود قانون دوليّ، فالدّين هو القانون الّذي يضبط المجتمع، القانون يضبط العلاقات بين النّاس بالمعنى المؤسّساتيّ، أمّا الدّين فهو يضبطها بالمعنى الذّاتيّ والعقائديّ.

هناك موضوعٌ خطيرٌ يُثار، يرتبط أيضاً بموضوع اللّيبراليّة الحديثة، ولكنّه يمسّ صلب المجتمع، وهو يأتينا على شكل ثلاثة مواضيع منفصلة:

- الأوّل يشكّك بعروبة سورية وبلاد الشّام والعالم العربيّ بشكل عامّ.
- والثّاني يشكّك بعروبة القرآن من خلال القول: بأن القرآن كتابٌ سريانيّ.
- والثّالث يشكّك بعروبة الرّسول من خلال القول: بأنّ الرّسول مستعربٌ وليس عربيّاً.

والهدف من خلال هذه الطّروحات هو الوصول إلى عدّة أهداف: منها ضرب العروبة والإسلام، مع أنّها ضُرِبت منذ أكثر من مئة عام، وساهم الإخونجيّون في التّفكيك

بينهما، ونحن كمجتمعات نعيش أزمة هويّة منذ قرن من الزّمان أو أكثر بقليل، أو ربّما منذ بدأ التّتريك في العهد العثمانيّ، وبدأ بعض النّاس يسأل نفسه: أنا مسلم أكثر أم عربيّ أكثر؟! هل أنتمي لدمشق -أو حلب أو دير الزّور أو اللاذقية- أكثر أم أنتمي لسورية أكثر؟! ما هو وجه التّعارض؟، لا يوجد تعارضٌ، فأنت تنتمي لعائلتك ولحيّك ولقبيلتك ولطائفتك ولمدينتك وتنتمي للوطن وتنتمي للدّين، ولكلّ هذه الأمور، فهذه أشياء لا تتعارض، هذه النّقاشات تهدف لخلق التّناقض، وهي متداولة الآن بشكلٍ واسعٍ، خاصّة على وسائل التّواصل الاجتماعيّ، وبكلّ أسف نرى من يتقبّلها ويسوّقها عن قناعة السّذّج، وفي بعض الحالات بسوء نيّة، وأنا أفترض أنّ السّذاجة هي العامل الأكبر في هذه الحالة، فهم يريدون أن يفرّقوا بين العروبة والإسلام، ويفرّقوا بين القرآن ولغته، ويفرّقوا بين المسلم والمسيحيّ، ويضربوا جوهر انتماء هذا المجتمع، وهو الانتماء العربيّ الّذي تكرّس عبر السّياق التّاريخيّ.

**التّشكيك في عروبة سورية** فقد قالوا: (سورية بلدٌ كان مسيحيّاً قبل مجيء الإسلام يتحدّث السّريانيّة، ويكتب بالسّريانيّة، وأتت الغزوات من الجنوب غزوات إسلاميّة عربيّة ودخلت اللّغة العربيّة لتلغي اللّغة السّريانيّة)، الحقيقة الرّدّ على هذا الكلام بسيطٌ جدّاً؛ لأنّ الحقائق التّاريخيّة تنسفه، فهم خلطوا بين ثلاثة أشياء ليست مرتبطة بالزّمن بعضها مع بعض، العرب كعرق واللّغة العربيّة والإسلام كدين، فالعرب متواجدون في هذه المنطقة في بلاد الشّام منذ عشرة قرون قبل الميلاد؛ لأنّه أوّل مرّة ذُكِر العربيّ بالوثائق أو بالمخطوطات الآشوريّة كان في القرن العاشر قبل الميلاد، أعتقد في عام ٩٥٠ق.م حسب ما هو مؤرّخ، ولا نعرف متى وجدوا قبل هذا التّاريخ، ولكن أوّل ذكر لهم في عام ٩٥٠ ق.م، القبائل العربيّة أتت إلى تدمر في الألف الأوّل قبل الميلاد، والعرب في ذلك الوقت عشرة قرون قبل الميلاد كانوا عرباً، ولكنّهم كانوا يتحدّثون اللّغة الآراميّة، فقد كانت اللّغة السّائدة واللّغة العالميّة في تلك المنطقة، الشّيء ذاته في تدمر،

فقد كان لديهم لغة قريبة من الآراميّة، ولديهم كتابة قريبة من الآراميّة ولكنّهم كانوا عرباً، وجاء الأنباط في منذ بضعة قرون قبل الميلاد، وهي قبائل عربيّة وسكنوا جنوب بلاد الشّام، وكانوا يتحدّثون العربيّة وعرقهم عربيّ، ولكنّهم يكتبون بالآراميّة، وبعدهم جاء الغساسنة، وقد كانوا عرباً مسيحيّين وسكنوا في جنوب بلاد الشّام، فاللّغة شيء والعِرق شيءٌ والكتابة شيءٌ آخر مختلف، فلا يمكن الرّبط بينهما، وقد كان هناك تفاعلٌ بين اللّغات، أمّا عندما وصلت قريش إلى سورية فلا يمكن لقريش أن تقوم بغزو كلّ هذه المنطقة وتبني لأفرادها دولة من المحيط الأطلسيّ إلى مناطق في أواسط آسية، هذا غير ممكن بحكم الحسابات البسيطة، فقد بُنيت هذه الدّولة بأبناء هذه المنطقة، هذا شيء محسوم، أمّا بالنّسبة للّغة فلن تأتي لغة لتلغي لغة أخرى، أوّلاً اللّغة السّريانيّة كانت اللّغة المحكيّة ولم تكن لغة الكتابة، فلغة الكتابة والدّواوين واللّغة الرسميّة ولغة السّياسة والتّجارة كانت هي اللّغة الإغريقيّة اليونانيّة، وبقيت متداولة لسبعة قرون، وبعد إنشاء الدّولة الأمويّة استمرّت هذه اللّغة كلغةٍ رسميّة حتّى القرن الخامس والسّتين للهجرة، أمّا اللّغة السّريانيّة فقد بقيت هي اللّغة المحكيّة حتّى القرن الثّاني عشر أو الثّالث عشر، يعني تقريباً سبعة قرون بعد مجيء الإسلام، فلم يأتِ أحدٌ ليلغي أحداً، فلم تأت قبيلة لكي تلغي أقواماً أصليّين يعيشون في هذه المنطقة، ولم تأتِ لغةٌ لتلغي لغات، ولو مُنِعت هذه اللّغة بالقوّة لاندثرت في أقلّ من قرن من الزّمان، بينما هي استمرّت، وكما تعرفون في مناطق في القلمون ومعلولا وغيرها يتحدّثون هذه اللّغة حتّى هذا العصر، لكن لو عدت للّغة العربيّة، عندما أقول: إنّها استمرّت، فمن الطّبيعيّ أنّه عندما تأتي لغةٌ مع دين، ويسود هذا الدّين فمن الطّبيعيّ خلال فترة قصيرة أن تصبح هذه اللّغة هي اللّغة السّائدة، وهذا شيءٌ بديهيٌّ.

هذه هي السّياقات الطّبيعيّة للأحداث عبر التّاريخ، فكون اللّغة العربيّة قد سادت في المنطقة لم يتمّ عبر الاحتلال، ولا عبر القمع، ولا عبر الإطفاء، بل كان سياقاً طبيعيّاً.

**أمّا القرآن السّريانيّ** فبعض المنظّرين وبعض المقالات الّتي نقرأها تقول: (إنّ هناك مصطلحات سريانيّة في القرآن، وهذا يدلّ على أنّ النّبيّ محمّد قام باقتباس القرآن من روايات سريانيّة قديمة)، هذا الكلام أقلّ ما يُقال عنه بأنّه كلامٌ غبيٌّ جدّاً لسببٍ بسيطٍ؛ لأنّ لغة أهل قريش –وهي اللّغة العربيّة الشّماليّة في شبه الجزيرة– كانت على احتكاك باللّغات الأخرى، وكانت اللّغات كلّها تتفاعل مع بعضها، جغرافيّاً عندما تكون لغات متعدّدة في الزّمن ذاته، أو تتوارث المصطلحات، تنقرض لغة وتبقى لغة.. فكانت لغة أهل قريش اللّغة الشّماليّة في ذلك الوقت هي اللّغة العدنانيّة، وفيها مزيجٌ من السّريانيّ ومزيجٌ من الكنعانيّ –وهي لغة الفينيقيّين في السّاحل السّوريّ–، وفيها كلمات أكّاديّة –وهي من أقدم الحضارات الموجودة في جنوب العراق ما بين النّهرين– والقرآن نزل بلغة هؤلاء القوم، فمن الطّبيعيّ أن يكون فيه مصطلحات سريانيّة وأكّاديّة، حتّى اللّغة المحكيّة الّتي نتحدّث بها، سواء كانت بالفصحى أو العامّية فيها مصطلحات من إيبلا كقولنا: (يامو.. خيّو)، فاللّغات تتوارث، ولو أُنزل اليوم كتاب سماويّ فسوف ينزل بهذه المصطلحات المتداولة الّتي عمرها قرون من الزّمن، فهذا الكلام أقلّ من أن يُرَدّ عليه.

**وكذلك عروبة الرّسول** لا داعي للردّ عليها؛ لأنّ الرّسول ينتمي لقريش، فهو مضريّ، وهو عربيٌّ قحّ من العرب العدنانيّين، وهذا الموضوع محسومٌ، فلا نستطيع الحديث عن عروبة الرّسول، ولا الحديث عن عربيّة القرآن، ولا الحديث عن عروبة سورية؛ لأنّ هذه الأشياء تصل لنقطة واحدة، والمستهدف من فكرة هذه الطّروحات هي فكرة العروبة، لماذا؟ لأنّ العروبة هي العنصر الجامع بين كلّ هذه المكوّنات، فالقرآن عربيّ والرّسول عربيّ وثقافة الدّين عربيّة والمجتمع هو مجتمعٌ عربيٌّ، فلا بدّ أن يحاولوا ضرب العروبة لكي يفكّكوا هذه العناصر، وعندها يحلّ محل هذا العنصر الجامع العناصر التّفريقيّة المختلفة.

تحدّثت كثيراً عن القرآن وعن الدّين وعن العروبة، وهذا لا يعني أن يكون الدّين هو دينٌ عنصريٌّ، وهذا أمرٌ محسومٌ، فلا فضل لعربيّ على أعجميّ إلّا بالتّقوى، ولكن المقصود أنّ دور العروبة هو دور مركزيّ في صلب هذه الثّقافة، ولا يمكن أن نتخيّل الدّين الإسلاميّ من دون الدّور المركزيّ للعرب، وهذا الكلام لم أسمعه من علماء عرب، بل سمعته من علماء أتَوا من شرق آسيا في مراحل مختلفة، وكانوا يقولون هذا الكلام، بأنّهم لا يستطيعون أن يتخيّلوا الدّين الإسلاميّ من دون المجتمع العربيّ، وهذا هو الشّيء الطّبيعيّ لتأثير اللّغة وتأثير الثّقافة، لذلك عندما نتحدّث عن العروبة نحن نتحدّث عنها بالمعنى الحضاريّ وليس بالمعنى العرقيّ، ولو كانت بالمعنى العرقيّ لما دافع عنها أحد، لا نعرف كم شخص في هذه القاعة هو ليس من عرقٍ عربيٍّ، ولكنّه يدافع عن العروبة؛ لأنّها مرتبطة بالدّين، فنحن نتحدّث عن المعنى الحضاريّ بمعنى التّنوّع، نحن نقبل لا أقول: بكلّ رحابة صدرٍ، بل بكلّ حماس، أن نقول: بأنّ هذا المعنى الحضاريّ فيه ثقافات متعدّدة، وفيه أعراق متعدّدة، وهذا دليل قوّة ودليل غنى، لكن قبولنا بهذا التّنوّع الثّقافيّ والعرقيّ لا يعني أن نقبل التّنوّع الحضاريّ، فهي حضارةٌ واحدةٌ لا نقبل أن يقول أحدهم: (بأن هذه المنطقة متنوّعة فيها عدّة حضارات)، هي لا تحوي عدّة حضارات، بل فيها عدّة ثقافات، لذلك يجب أن نحسم موضوع العروبة، سورية وبلاد الشّام والعالم العربيّ كلّه منطقة عربيّة بالهويّة، وستبقى، ولكن إذا كان هناك من يعتقد أنّه ببعض الخواطر على الإنترنت، أو ببعض المقالات، أو ببعض الدّراسات، أو ببعض الكتيّبات، أو ببعض المجلّدات يستطيع أن يغيّر هويّة شعب فهو خاطئ وواهم وضالّ.

أطلت الحديث، ولكنّي لا أستطيع تجاوز هذه النّقاط، وأريد أن أختم كلامي بالتّنويه بدور هذه المؤسّسة الدّينيّة العريقة –مؤسّسة الأوقاف الّتي كما قلت: أنتم وأنتنّ تشكّلون عمادها– في هذه الحرب تحديداً، وأقول –كعادتي بعيداً عن المبالغات–: بأنكم كنتم رديفاً للجيش، وكلّنا يعرف بأنّ الحرب الّتي استخدمت المصطلحات الدّينيّة

في سورية بدأت قبل الحرب العسكريّة، وكان أملهم بأنّ الحالة الطّائفيّة هي الّتي ستدفع النّاس إلى حمل السّلاح والقتال، ولكن عندما فشلوا قرّروا أن يذهبوا باتّجاه الإرهاب، فلذلك عندما أقول: كنتم رديفاً للجيش فهذا الكلام دقيق؛ لأنّه لو تخاذل الجيش لانتصر الإرهاب، ولو تخاذلت المؤسّسة الدّينيّة لانتصرت الفتنة، لذلك كانت الحرب عليكم كأشخاص، وعليكم كمؤسّسة حرباً شرسة جدّاً من قِبَل الطّائفيّين، ومن قِبَل المتعصّبين، ومن قِبَل الخونة، ولكن هذا شيءٌ طبيعيٌّ، وهذا هو الشّهادة على الموقع الوطنيّ والدّينيّ الصّحيح لهذه المؤسّسة، وأنا أعتقد بأنّ مع استمرار هذه الظّروف إذا توقّف هذا الهجوم عليكم من قِبَل هذه المجموعات ذاتها عندها عليكم أن تقفوا أمام المرآة وتقولوا: أين أخطأنا؟، فلذلك يجب أن لا تنزعجوا من هذا الهجوم، فهو دليلٌ على صحّة النّهج الّذي تسيرون فيه.

**أمّا من يهاجم هذه المؤسّسة انطلاقاً من الشّكّ وليس من سوء النّوايا:**

- فهو لا يعرف عن دور هذه المؤسّسة في **منع الفتنة والتّقسيم**، ودورها في **منع الطّائفيّة ومنع التّطرّف**، وفي تطهير المناطق الّتي تحرّرت من بقايا الفكر التّكفيريّ المتخلّف.
- هو لا يعرف عن الأشياء الّتي تقوم بها الآن بشكل مستمرّ.
- هو لا يعرف معنى أن تتمكّن هذه المؤسّسة في هذه الظّروف القاسية – وهي تحت ضغوط من كلّ الاتّجاهات أعرفها بالتّفاصيل– من أن تنجز **تفسيراً عصريّاً** يتناسب مع تحدّيات العصر، ويشكّل مرجعيّة جامعة لمختلف الطّوائف الإسلاميّة، ويشكّل نقطة التقاء مع إخوتنا المسيحيّين، هذا إنجازٌ كبيرٌ جداً.
- لا يعرف ماذا يعني ألّا تتمكّن دولة من تغيير قانون الأحوال الشّخصيّة

لأكثر من ستّة عقود، **وتقوم هذه المؤسّسة بتغييره في العام الماضي**، طبعاً معروف بأن قانون الأحوال الشّخصيّة مرتبط بشكل وثيق بالدّين.

- ولا يعرف ماذا يعني أن تنجز هذه المؤسّسة **قانون الأوقاف** الّذي تعرّض للهجوم في العام الماضي، وهو كقانون هامّ جدّاً من أجل مأسَسَة العمل الدّينيّ ومنع الحالات الفرديّة الشّاذّة من تعميم شذوذها على الوسط الدّينيّ.
- ولا يعرف ما هو الفرق أو ماذا فعلت هذه المؤسّسة أو ماذا يعني أن تتمكّن هذه المؤسّسة من **منع الرّبط بين الدّين وبين الخيانة الوطنيّة**، وتكريس بأنّه لا يمكن للإنسان أن يكون مؤمناً حقيقيّاً وخائناً لوطنه بالوقت ذاته.

لكن **قَدَركم أن تحملوا بالإضافة للمسؤوليّة الشّرعيّة الكبيرة والجسيمة، مسؤوليّة معالجة التّراكمات الّتي حدثت عبر القرون الماضية، ومن واجبكم أيضاً الحفاظ على بلاد الشّام عمود الكتاب، والأرض المباركة الّتي أحبّها الرّسول الكريم محمّد صلّى الله عليه وسلّم.**

أتمنى لكم وللجميع كلّ التّوفيق في خدمة وطننا، والسّلام عليكم

وشكراً لكم للاستماع